بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي كتابي هذا إلى أخي المهندس عبد المحسن هرمس ، الذي كان أول من قدمني لعالم الصحافة عام ١٩٦٩ .

كما أهديه إلى أستاذي خميس البكري مدير تحرير جريدة الأهرام وإلى روح الأستاذ الكبير محمد زايد ، (رحمه الله) نائب رئيس تحرير جريدة الأهرام اللذان شجعاني على البحث والإطلاع والدراسة في مجال تاريخ الصحافة الفكاهية المصرية القديمة . كما أتاحا لي فرصة نشر كثير من تلك الدراسات على صفحات الجريدة بداية من مايو عام ٢٠٠١ .

كذلك أهديه للأستاذ فنان الكاريكاتير عبد الرحمن بكر لمراجعته الكتاب وتصميم وتنفيذ صوره الغلاف مع الشكر الجزيل .

المؤلف

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى
جُمْلَةِ الْبَشَرِ.

العماد الأصفهاني

مقدمة

ونحن في معرض محاولة التأريخ للكتابة الصحفية القديمة في مصر، الصادرة في القرن الماضي، كان من الضروري إحاطة القارئ بشيء عن تاريخ ظهور صحف وجرائد ومجلات مصرية متنوعة الأغراض بين سياسية وأدبية، وأخرى فكاهية وهزلية، حيث كانت الجريدة قديما تسمى «Gazette»، وينطقها أهالي مصر والشام باسم «غازيته» أي جريدة، وكانت الصحافة الفكاهية آنذاك تحمل إصدارتها أسماء جذابة لافتة للنظر لإعطائها شعبية لأجل الرواج، حيث صدرت في عصر الخديوي إسماعيل جرائد بأسماء غريبة مثل: أبو نضارة، أبو زمارة، أبو صفارة، التودد، وتلا ذلك صدور التنكيت والتبكيت عام ١٨٨١، الخيلة الكذابة عام ١٨٩٨، بغله العشر عام ١٨٩٨، حمارة منيتي عام ١٨٩٨، ١٩٠٤ ثم الحمارة عام ١٩٠٠، المقصود عام ١٩٠١، المنصور عام ١٩٠٢، الأرنب عام ١٩٠٢، المعلم جحا عام ١٩٠٣، الصيحة ١٩٠٣.

كما ظهرت في نفس هذا العام ١٩٠٣ صحف الخلاعة المصرية: الزمار، ظريفة المعاني، المساواة، وفي عام ١٩٠٤ ظهرت جرائد أخرى مثل الأزبكية: البابا جللو المصري، ثم جرائد منها: عفريت الحمارة، البهلول، الرعد، النيل عام ١٩٠٥، الشتاء، النكتة، عام ١٩٠٦، والسبعة ودمتها، الديك، لق لق، خيال الظل والتمساح عام ١٩٠٧، ثم جرائد منها المسامير، الزار، حظ الحياة، اللواء المصري، الشجاعة والقنبلة أعوام ١٩٠٨، ١٩٠٩، وغيرها.

والملاحظ أن مستوى اللغة العربية التي كانت تكتب بها جرائد تلك الأيام كان ضعيفًا. وتحتوي ألفاظًا عامية أو أجنبية كثيرة، مثل استعمال كلمة «حرمه» وجمعها حريم عند ذكر النساء، وكلمة «القراطيس» وكانت تعني «السندات»، والرتبة العسكرية صاغ كان اسمها «صاغ قول أغاسي»، وكلمة «عيد العمال»، كانت تكتب باسم «عيد الفعلة»، !!! وكثيرا ما نجد مكتوبا في تلك الصحف

أخطاء شائعة مثل كتابة اسم «أولفت» «بدلا من ألفت» ، وسيهام بدلا من «سهام» ، وعبد اللاه بدلا من عبد الله ، إلخ .

وأثرت أزمة الورق في أثناء الحرب العالمية الأولى على الصحافة المصرية حيث ظهرت أزمة حادة في ورق الصحف مما دعى أصحابها إلى تقليل عدد صفحاتها رغم زيادة الأخبار آنذاك ، فاضطرت بعض الصحف إلى إصدار الجريدة في ورقة واحدة ، وبعضها لم يستطع أن يستمر في الظهور .

وعن التوزيع الجغرافي للصحف في مدينة القاهرة ، ينبغي التنويه إلى أن الصحافة كصناعة كانت في بدايتها كشأن بقية الصناعات ، لم تكن في حاجة إلى مكان كبير ليكون مقرًا لإدارتها كما هو الحال في أيامنا المعاصرة ، فقد كانت كثير من الصحف في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تتخذ مقرًا لها في شقة أو دكان ، !!!! ، بل كانت بعض الصحف بدون مقر مستقل وبعضها كان يتخذ من المطبعة التي تتعاقد معها مقرًا لها ، بل وجد الباحث الكبير فتحي الحديدي ، في بحثه عن هذا الموضوع أن صحيفة كانت تتخذ مقرًا رسميًا لها عبارة عن ترابيزة في كازينو !! وهي جريدة «النور» لصاحبها محمود زكي باشا ، وذلك في سنوات ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، حيث كانت تلك الترابيزة في كازينو الشانزليزيه بشارع الفجالة ، وكانت تطبع هذا العنوان على التروسية ضمن عنوان الجريدة ، تركزت مناطق إصدار الصحف المصرية القديمة بأنواعها ومطابعها في مدينة القاهرة ، منذ نشأتها بشوارع محمد علي ، الفجالة ، نوبار ، عبد العزيز ، الأمير قدادار وعلى سبيل المثال لا الحصر كانت جريدة المسامير تصدر من منزل بشارع الخليج المصري المرخم بجوار بوستة باب الخلق بعمارة حسن باشا زايد ، (عام ١٩٠٨) وجريدة «الرعد» كان محل إدارتها بشارع عبد العزيز ، بالمطبعة العمومية، أما جريدة «اللواء المصور» فقد اتخذت مقرًا لها في حارة برجوان بالجمالية بمصر ، وكان محل إدارة جريدة «التمساح» بشارع شبرا عام ١٩٠٧م ، أما جريدة «السبعة ودمتها» فقد كان محل إدارتها بمكتبه على أبو زيد الكتبي بالأزهر ومكتوب على صدر الجريدة العبارة الآتية : «جميع الرسايل الخفافي اللي على مزاجك ننشرها بس تبعد عن السب والطعن ، وتطلب الجريدة من مكتبه

على أفندي أبو زيد الكتبي ببوستة الأزهر» وموضح على الجريدة أنه يحررها «اثنان في غامض علم الله وتحت حماية الله» .. !!!!

وفي شارع محمد علي قرب مبنى دار الكتب الحالي عند باب الخلق كانت تصدر جرائد «المؤيد» و «الفلاح» «المؤيد الأسبوعي» و «منفيس» «البريد» في مطبعة المنار بباب الخلق وصحيفة «الأمة» ، من درب العنبة بشارع محمد علي ، كذلك جرائد «المخزن» ، «فرعون» ، «مصر الفتاة» ، «عاصمة الشرق» ، القطر المصري» «النظام» ، إلخ .

شارع محمد علي في القرن الماضي

وفي شارع الفجالة كانت تصدر صحف ومجلات عديدة مثل: «الحقوق» ، عام ١٨٨٦ ، المفتاح عام ١٩٠١ «المحيط» عام ١٩٠٢ ، «الجنس اللطيف» عام ١٩٠٨ ، الرشاد عام ١٩٢٤ ، «الشجاعة» منذ عام ١٩٠٨ ، والمنبر ، الضياء ، العاصمة عام ١٩١٠م... إلخ.

أما الصحف التي كانت محال إداراتها في شارع الدواوين فهي جريدة القاهرة، اللواء ، الأفكار ، الحاوي ، المساء ، البلاغ ، المرشد ، شيخ الصحافة ، الجامعة ، إلخ .

هذا بالإضافة إلى الجرائد التي كانت إدارتها في شوارع خيرت بالسيدة زينب ، والأمير قدادار والساحة «شارع رشدي» ، وشارع القصر العيني ، ثم منطقه شارع الصحافة بشارع الجلاء ، وأخيرا في مدينه ٦ أكتوبر .

وبعد هذه المقدمة نضع عزيزي القارئ هذا الكتاب بين يديك والذي يعتبر ثمرة دراسات وجهود بحثية مستفيضة في مجال الصحافة الفكاهية المصرية القديمة الصادرة في بدايات القرن الماضي .

وما جاء بهذا الكتاب يمثل محاولات لتسليط الضوء على الفترة ما بين عام ١٩٠٠ وحتى عام ١٩١٠ لبيان ما صدر خلالها من صحف ذات طابع فكاهي والتي تبين لنا أنها تعكس آلام وآمال وأماني الشعب المصري والتي لا تخلو من سخرية التي تميزت بها الشخصية المصرية الأصيلة .

وتوخينا تناول بعض أهداف أصحاب تلك الصحف بشيء من التدقيق فوجدناهم يحاولون الاعتراض بالسخرية المباشرة ، وغير المباشرة على ما شاع وجوده بين ربوع مصر من متناقضات منذ عام ١٨٨٢ وهو عام دخول القوات الإنجليزية مستعمرة لمصر ، حيث انقلبت أوضاع المجتمع المصري نتيجة لذلك الاستعمار وتغيرت كثير من ملامحه ، ووجدنا أصحاب تلك الصحف يحرصون على محاولة كشف المستور من تصرفات المستعمر المستبد ، وفضح مؤامراته وعلاقاته مع خونة البلاد من المصريين العملاء الذين يتعاملون معه .

لذا اهتم كثير من أصحاب تلك الصحف الفكاهية أن يصفوا صحفهم بأنها «سياسية» ، ثم يضاف بعد ذلك توضيحًا لمهمتها الصحفية بأنها «انتقادية» أو «فكاهية» أو «هزلية» أو «تصويرية» أو «أدبية» .

أو كل تلك الأوصاف في جريدة واحدة ، مما يدل على أن الخوض في مجال السياسة المصرية كان واجبًا أساسيًا على صاحب كل جريدة فكاهية الالتزام به إلى جانب ما يقدم من مواد صحفية نقديةأو فكاهية أو ساخرة، وجد في هزل ، بهدف محاوله معالجة سلبيات المجتمع وإعلاء شأن الإيجابيات.

وفي هذا الإطار سوف نعرض للعديد من المعلومات عن تلك الصحف الصادرة في الفترة ما بين عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩١٠ ، والتي تؤكد ظهور رجال كبار الشأن ذوي أفكار وآراء مخلصة وجريئة ورؤية وطنية صادقة جعلتهم يتحملون مشاق إصدار تلك الصحف ، ويتعرضون للصعاب من جانب السلطات الحاكمة التي كانت كثيرا ما تصادر صحفهم وتسحب تراخيصها مما يؤدي إلى توقف صدور كثير منها ، وقد حرصنا على العرض المناسب لسياسة وأداء كل صحيفة ذكرناها ، وتناولنا بالتعليق على مادتها وآرائها من خلال فصول أربعة احتواها هذا الكتاب ،وإننا نهدف من وراء هذا البحث ، ربط الماضي بالحاضر ، من أجل مستقبل أكثر ازدهارًا ، لوطننا الحبيب مصر .

القاهرة في ديسمبر ٢٠١٢

المؤلف